تقنيات الإحالات النصية في خطب الإمام الباقر عليه السلام

الدكتورة حميدة صالحي (الكاتبة المسؤولة)
أستاذة محاضرة في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
h.salehi0250@gmail.com
حيدر عبدالحسين دخان الجبر
طالب الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
Hh11119783@gmail.com

Text referral techniques in the sermons of Imam Al -Baqir peace be upon him

Dr. Hamida Salehi (responsible writer)
Professor of Arabic Lecturer and Literature , University of Religions and Doctrines , Qom , Iran
Hayd Abdulssen Dukhan al -Jabr
A master's student in Arabic language and literature , University of Religions and Doctrines , Qom , Iran

الملخص:-

الإحالة reference هي من أهمّ أدوات الانساق النصي و يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنّما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمّى عناصر محينة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة. ويمكن القول إن الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني؛ ولذا فإن فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه. وتتحقق الإحالة في العربية بالضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة والمقارنة والموصولات.الإمام الباقر عليه السلام هو الإمام الخامس للشيعة وكانت خطبته من جملة نشاطاته علمية التي كتبها في نهاية الإتّساق والإنسجام وله رسائل وخطب ذات معانٍ دينية وسياسية ممتازة يجدر بالتحليل حول جماليته الفنية فإذن عكفنا على أنماط الإحالات النصية في خطبتين. من أهمّ نتائج البحث: حضور إحالات ضمائر الغائب أكثر توتراً من ضمائر المخاطب عند خطب الإمام الباقر عليه السلام، قلّما نشاهد ضمائر الإشارة وإحالتها بالمضامين التي تشير إلى السابق، وإحالة الموصول الخاصّ الذي يرجع ويرتبط بالموضوع السابق. إنّنا نعتمد في هذه الرسالة بمنهج الوصفي التحليلي ولهذا نقدّم خطب الإمام الباقر عليه السلام ونستخرج الشواهد النثرية نحو الضمائر واسماء الإشارة والموصول حسب الإحالات التي تحضر في خطبهما.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، الخطبة، النص، الإمام الباقر عليه السلام، الضمير.

Abstract:-

Refernce is one of the most important tools of text format, and it is intended to have linguistic elements that are not satisfied with themselves in terms of interpretation, but rather refer to another element, so they are called upscale elements such as pronouns, sign names and connected names. It can be said that referral is a relationship between a linguistic element and another linguistic or external so that the first interpretation of the second depends on; Therefore, understanding the current elements included in the text of what requires the addressee to search elsewhere inside or outside the text. The referral in Arabic is achieved with pronouns of all kinds, and the names of reference, comparison and connections. So, we are aware of the patterns of textual referrals in two sermons. Among the most important results of the research: The presence of the absent consciences of the absent consciences is more tense than the pronouns of the addressee at the sermons of Imam al -Baqir (peace be upon him), we rarely see the signal pronouns and refer them with the contents that refer to the previous, and the referral of the private connector who is attributed and related to the previous topic. We adopt in this message the approach of the analytical descriptive, and for this we present the sermons of Imam al -Baqir, peace be upon him, and extract the prose evidence towards the pronouns, the names of the reference and the connected according to the referrals that are attended by their speeches.

Key words: referral, sermon, text, Imam Al -Baqir (peace be upon him), conscience.

المقدّمة:ـ

إنَّ الإحالة هي إحدي أدوات الربط النصي وتشكل الروابط المختلفة جزءاً أساسياً في تماسك النص، إذ أنها وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر عالم الخطاب، ويعد الربط بين المفردات اللغوية داخل التركيب النحوي وبين أجزاء النص الواحد أهمّ أسس النظام التركيبي للجملة بل يستحيل فهم المعاني والدلالات الواردة في الكلام دون وجود هذا الترابط بين أجزائه سواء كان هذا الكلام جملة أو تركيباً نحوياً واحداً أو كان نصاً من النصوص حيث لا بد أن يتوافر الترابط بين أجزاء النص ومفردات التركيب حتى يمكن أن تؤدي أجزاؤه مجتمعة مترابطة معني كلياً مراداً سواء كان هذا النص نثراً أو شعراً. فالرابط إذن وسيلة مهمة من وسائل الحكم بالنصية على نصّ ما مع مجموعة المعايير النصية الأخرى، لهذا اهتم به علم اللغة النصي تمحيصاً وتفصيلاً وتأملاً حيث ظهر التماسك النصي بأشكاله وملامحه موزعاً ومتنوعاً في أطر كثيرة استمدت قوتها لا من علم اللغة النصي ولا من نحو النص فحسب بل من علوم كثيرة ومن هنا تنوعت تلك الوسائل؛ في هذه الدراسة ستتم مناقشة الإحالة النصية في خطب الإمامين الهمامين الباقر (سلام الله عليه) بصفته من الأئمة التي له روايات عديدة وطلاب كثيرة يهتمون بنقل أحاديثه وخطبه، وسوف تتم دراسة الخطب عنده من منظور الإحالات النصية الواردة في الجمل والعبارات المستخدمة من سماحته، وجدير بالذكر أن المنهج المتبّع في هذه الدراسة هو منهج تحليل-وصفي. وبما أنَّ الإمام الباقر عليه السلام له خطب كثيرة وفيها إحالات كثيرة فلذلك قام الباحث بالبحث عن الإحالات النصية في خطبه عليه السلام.

اسئلة البحث:

١- ما انواع الإحالة النصية في خطب الامام الباقر عليه السلام؟

٢- أيّ الإحالات الاكثر شيوعاً بين الخطب لدى الامام الباقر عليه السلام ولماذا؟

الدراسات السابقة:

لم تكتب دراسة مخصصة لخطب الإمام الباقر عليه السلام لكن هناك بعض دراسات التي نشرة وكان من موادها التطرق إلى خطب هذا الإمام وهي:

أ) الرسائل الجامعية:

١- نوقشت رسالة الدكتوراه في موضوع «ترجمه وتكميل باب دوم كتاب الامام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير»، الكاتبة: زينب السادات موسوي طباطبائي، جامعة القرآن والحديث، طهران، سنة ١٣٩٤ش. الغرض من هذا البحث هو الحصول على مصدر مفيد لمرجعية الباحثين، وبما أن هذا البحث هو ترجمة وملحق، فقد تم استخدام مصادر القاموس ومصادر الأحاديث والتعليقات وغيرها من المصادر في مجال علوم القرآن.

٢- نوقشت رسالة أخرى في سنة ١٣٨٩ش حول «نقش جمعگرايي در تكامل انساني از منظر اهل بيت عليهم السلام (مورد مطالعه: احاديث امام محمد بن على باقر عليه السلام» الكاتب: على داودي، في جامعة اصفهان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. في هذه الرسالة، يتم فحص دور الجماعية في التطور البشري من منظور الإمام باقر عليه السلام. لهذا الغرض تمت دراسة جميع أحاديث الإمام الباقر عليه السلام الموجودة في مسند الإمام الباقر عليه السلام واستخرجت منه الأحاديث التي تدل على الجماعية، ثم جمع الأحاديث التي تزيد عن ١٤٠٠ حديث.تصنف الجماعية تحت عناوين مختلفة، وفي المرحلة التالية، من خلال فحص التقاليد، تحت كل عنوان، يتم تصنيفها إلى مجموعات فرعية مختلفة، ويتم محاولة شرح الموضوعات ببيان الإمام نفسه.

ب) المقالات:

١- يوجد بحثاً علمياً في موضوع «البنية الدلالية والإحالية للضمائر»، الكاتب: أشرف عبد البديع عبد الكريم؛ في مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، ٢٠٠٦م، العدد ٣. إنَّ الدراسة هذه تتم مناقشة البنيوية فيها وذلك من خلال مذاكرة الضمائر في اللغة وكيفيية استخدامها ومدي فاعليتها في عناصر الجملة وكل ذلك تم في دراسة بنيوية.

٢- انتشر بحثاً عن «علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق:الخطابة النبوية نموذجاً»، الكاتب النجار، نادية رمضان؛ مجلة: علوم اللغة، المجلد التاسع، ٢٠٠٦ - العدد ٢. فإذا نظرنا إلى النص المعني بتحليله (خطابة الرسول"صلى الله عليه و سلم") لاحظنا ضرورة تحليل العناصر الجزئية داخل الجملة أولا، والمتمثلة في العمد والفضلات

والتقديم والتأخير في إطار الجملة؛ ومن ثم يحدد الإعراب موقع الكلمات من الجملة، ثم ينظر في علاقة الجمل(بعضها ببعض)داخل النص، و المتمثلة في الوصل والفصل وعلاقتها بما قبلها و بعدها، هذا من جهة، و من جهة أخرى لا يفصل بين المتحدث والمتلقي والخطاب؛ و من ثم يمكن لأية جملة أن تصير نصّاً.

٣-طبت مقالة في موضوع «الترجمة الفوريّة العلامات الخطاب النصيّة في الخطابات السياسيّة»، الكاتب: رستم، ريم؛ الخليل، طلال؛ مجلة جامعة البعث، السنة ٢٠١٦، المجلد٣٨ - العدد ٧. إن هدف هذا البحث هو إلقاء الضوء على الترجمة الفوريّة لعلامات الخطاب النصيّة من الإنكليزية إلى العربيّة. كما أن النماذج المختارة لإجراء البحث عبارة عن ثلاثة خطابات للرئيس الأمريكي باراك أوباما. ففي خطاباته تُستخدم علامات الخطاب النصيّة عمداً ولها وظائف محدّدة لذا اختيرت بعض الأمظة للمقارنة ما بين النصوص الأصليّة باللغة الإتكليزيّة ونظائرها المترجمة إلى اللغة العربيّة و لإظهار ما يحدث لهذه العلامات أثناء عمليّة الترجمة الفوريّة.

مع هذا لم يبحث عن إحالات النصية في الخطب لدي الإمامين الباقر، ونحن قمنا بإيراد هذا البحث وتحليل حوله واعتمدنا في دراستنا هذه منهجاً وصفياً قائماً على التحليل والإستنتاج في الطرق الفنية التي سلكها الإمامين الباقر في خطبه.

٢- الإطار النظري

٢-١. الإحالة لغة وإصطلاحاً

الإحالة لغة جاء في لسان العرب" المحال من الكلام ما عدل به عن وجهه، وحوله وجعله محالاً، وأحال أتى بمحال، ورجل محوّال كثير محال الكلام ويقال أحلت الكلام وأجيله إحالة إذ أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن إحمد أنه قال المحال الكلام لغير شيء والجوال: كل شيء حال بين إثنين، حال الرّجل يحُولُ تحوّل من موضع إلى موضع[١]. وعرفها الزبيدي بقوله: أحال الشيء تحول من حال إلى حال أو أحال الرجل: تحول من شيء إلى شيء[٢]. وفي القاموس المحيط حال الشيء وأحال: بمعنى تحوّل[٣].

نستنتج من خلال ما ذكر إن الإحالة هي مصدر الفعل "أحال وهو يدل على التبدل

والتغيير والإنتقال من حلة إلى أخرى.

تعدّ الإحالة إحدى وسائل تحقيق الترابط والتماسك بين أجزاء النص ووحداته. ولها تعريفات عدة نذكر منها: يعرفها جون لوينز بقوله: هي" تلك العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات؛ فالأسماء تحيل إلى مسميات وهي علاقة دلالية تخضع لقيد أساسي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[٤] ويقصد بها أيضا تلك العلاقة القائمة بين العبارات اللغوية والشخص أو الشيء الذي تحيل عليه في الواقع[٥].

ويعرف "روبرت دي بوجراند[٦]" الإحالة بقوله: هي تلك العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النّص أمكن أن يقال عن هذه العبارات أنها ذات أحلة مشتركة"[٧].

يعرفها "جون ليونز" بأنها: " العلاقة بين الأسماء والمسميات"[٨]. وهذه العلاقة ذات طبيعة دلالية تشترط تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه. وذلك أن العناصر المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل بل تكتسي دلالاتها بالعودة إلى ما تشير إليه. لذا وجب قياسها على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور في مقام آخر.[٩] ومن هنا فإنّ مفهوم الإحالة يثير مشكلا اصطلاحيا، إذ هي تعني تارة العلمية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم، أي ما كان يسميه القدامى "الخارج.". وهي تارة أخرى تعني إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها[١٠].

٢-٢. أقسام الإحالة

تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين:

أ. الإحالة المقامية والإحالة النصية، وتتفرع الثانية بدورها إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية.

ب. ولتوضيح هذا التقسيم أكثر نقترح المخطط الذي قدمه كل من رقية حسن الإحالة وهاليداي[١١].

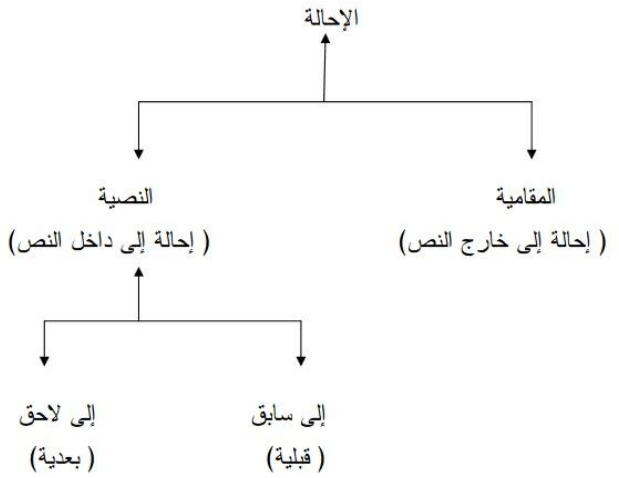

٢-٢-١. إحالة مقامية Exphora

والتي تحيل إلى عنصر خارج (النص/ اللغة).هنالك العديد من النصوص لا تفهم من خلال النظام الذي ترتب فيه العمل بل بالاعتماد على المقام الذي قيلت فيه (السياق) وهو الذي يحدد معاني الأحداث الكلامية، ويعني هذا بأن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب من خلال التمعن في الجوانب والعوامل المحيطة بالكلام وكذا الظروف التي ينشأ منها وهي تشمل المتكلم والمستمع وغيرهما بحيث يكمن دوره في تأويل الكلام وتوضيحه وبذلك يسهم في تحقيق اتساق النص(١٢).

ففي الإحالة المقامية تستعمل ضمائر المتكلم والمخاطب، وهي ضمائر تحيل إلى شيء خارج النص تمكن المستمع أو القارئ من فهم الغموض الموجود في النص، وهذا ما أكد عليه أحمد عفيفي من خلال تعريفه الإحالة المقامية بقوله: "هو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا ويطلق عليه) الإضمار لمرجع متصيد أو الإحالة لغير مذكور)(١٣).

ويساهم هذا النوع من الإحالة في إنتاج النص لكونها تربط اللغة بالسياق(١٤).

٢-٢-٢. الإحالة النصيّة Endephora

والتي تحيل إلى عنصر (النصّ/ اللغة) حيث تقوم هذه الإحالة على دور فعال في الترابط والاتساق النصي بشكل مباشر، وهي تنقسم إلى:

أ) الإحالة على السابق: Anaphora

وهي إحالة من مسمياتها إحالة بالعودة أو إحالة إلى الوراء. وتسمّى(قبلية) وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به مثال كقول المتحدث، أنظر إلى السماء أنها صافية. ففي هذه العبارة استعمل المرجع الذي هو (السماء) مذكورا ذكرا كاملا على أنه عنصر من عناصر الخطاب، ثم جيء بعد ذلك بضمير متصل الهاء، في قوله (إنها) لتعود على عنصر سابق وهو السماء[١٥].

أ) الإحالة على اللاحق Cetaphora

ويطلق عليها إحالة إلى الأمام وتسمى بعدية، وهي تشير إلى عنصر مذكور بعدها في النص، أو لاحق عليها، أي أنه يستمد تأويله من كلام يأتي بعده. مثال قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.[١٦] فقد ورد اسم (الإشارة) هذه ليحيل بعديا على لفظة (جَهَنَّم) التي يكذب بها المجرمون، فهنا ذكر المحيل (هذه) ثم ذكر بعده المحال إليه (جَهَنَّم)، وهنا تكون الإحالة بعدية.

٣- الاحالة النصية في خطب الامام الباقر عليه السلام

٣-١. الضمائر

قد خصص علماء النص المعاصرون مجالاً واسعاً في الحديث عن الضمائر وأهميتها ودورها في تحقيق تماسك النص الشكلي والدلالي فهي تنقسم إلى ضمائر وجودية مثل: أنا أنت، نحن هو، هم، هن... ألخ [١٧]، وإلى ضمائر الملكية مثل: كتابي كتابك، كتابهم كتابنا... ألخ وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية إلا في الكلام المستشهد به أو في الخطابات المكتوبة.[١٨] كما يعدّ "الضبط بالضمير بديلا لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار بل إن الضمير إذا اتصل، فقد أضاف إلى الدقة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاقتصار". فدور الضمائر يكمن في تشكيل معنى النص وإبرازه، فهو يسهم في عدم إعادة الألفاظ وتكرارها، مما يزيد في تماسك النص وانسجامه، وقد يتعدد دور

الضمير في عملية الإحالة فتارة يحيل إلى كلمة مفردة، وفي بعض الأحيان إلى جملة وأحيانا يحيل إلى ترتيب أو خطاب[١٩]. إنّ خطب الإمام الباقر عليه السلام تملأ فيها من أنواع إحالات ترتبط بالضمائر و عودة هذه الضمائر إلى موضوعات مختلف كما نشاهد في خطبة في "جمع أهل الغفلة":

"ويحك يا مغرور: ألاَ تحمد من تعطيه فانياً؟ ويعطيك باقياً، درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم آتاك الله عند مكافأة هو مطعمك وساقيك، وكاسيك، ومعافيك، وكافيك، وساترك ممّن يراعيك، من حفظك في ليلك ونهارك، وأجابك عند اضطرارك، وعزم لك على الرشد في اختبارك، كأنّك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفك، دعوته فاستجاب لك، فاستوجب بجميل صنيعه الشكر، فنسيته فيمن ذكر، وخالفته فيما أمر"[٢٠].

إنَّ ضمير في هذا النموذج يتشكل من ضمير (هاء / ك) وكاف يرجع إلى كلمة (مغرور) والامام الباقر عليه السلام يريد أن يمنّ عليه لنعمات الله سبحانه يعطيه كثيرا ولهذا يأتي بضمير (كاف) مع تعابير (يعطي/ آتا/ مطعم/ ساقي/ كاسي/ كافي/ ساتر/ يراعي/ حفظ/ ليل/ نهار/ أجاب/ اضطرار/ عزم/ اختبار/ أوجاع/ خوف/ استجاب) وبهذه الكلمات يريد أن يمنّ الله سبحانه عليه فيذكر عطاياه نحو المطعم والستر والحفظ واستجابة دعوات.

أو في نموذج آخر يستخدم حرف (كاف) مخاطباً (طالب الجنة) وهذا الشخص طالب الجنة ينتقد لأجل كثرة نومه وأكل مطيته، وأضعف همته وحثّ على مطيته وإزداد كسبه:

"يا طالب الجنة: ما أطول نومك، وأكلّ مطيّتك، وأوهى همّتك، فلله أنت من طالب ومطلوب، ويا هارباً من النار، ما أحثّ مطيّتك إليها، وما أكسبك لما يوقعك فيها"![٢١]

أو نرى هذه الإحالة في خطبة الامام الباقر في مجلس هشام بن عبدالملك:

"فلمّا سكت القوم، نهض عليه السلام قائماً، ثمّ قال: (أيّها الناس: أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أوّلكم، وبنا ختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد ملكنا ملك، لأنّا أهل العاقبة، يقول الله عزّ وجل: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فأمر به إلى الحبس، فلم يبق رجل إلاّ قام بخدمته وحسن عليه، فجاء صاحب الحبس إلى هشام، وأخبره بخبره، فأمر به فحمل إلى البريد هو وأصحابه، لكي يردّوا إلى المدينة المنوّرة"(٢٢).

كما نلاحظ في الفقرة الأولى من الخطبة واستفاد من ضمير متّصل (نا) مشيراً إلى قوم الامام لباقر تخصيص (هداية الله + ختم آخركم + ملك مؤجّل + أهل العاقبة) هكذا خصّص ضمير (نا) بأهله و قومه دون غيرهم وهذه الإحالة تلعب هاماً في تؤكيد على الاختصاص بقومٍ وهناك قوم الإمام عليه السلام.

خطبة الإمام الباقر عليه السلام في الشام:

"اجتنبوا أهل الشقاق وذرّية النفاق، وحشو النار، وحصب جهنّم عن البدر الزاهر، والبحر الزاخر، والشهاب الثاقب، ونور المؤمنين، والصراط المستقيم، (مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أو نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً"(٢٣).

يتّضح من كلام الامام أنّه استخدم ضمير (ها / هم) يعود مرجعها ب(الوجوه) وهذه الإحالة تكتب لعدم تكرار هذه الكلمة التي تقلّ من إيقاع الخطبة ويزداد إطناب الجملة.

ففي احدى خطبه يبدأ الإمام عليه السلام كلامه فيقول:

"إن حضرتَ لم تعرف. وأن غبتَ لم تفتقد، وإن شهدتَ لم تشاور، وإن قلتَ لم يقبل قولك، وإن خطبتَ لم تزوج".

نشاهد في الخطبة إنّ الامام الباقر عليه السلام قد وظّف ضمائر البارزة (تَ) والمستترة (أنت) وهذه الضمائر تقع في حبل موسيقي منسجم وينقطع كلّ الجمل مع فارزة ولكن يرتبط بهم من حيث المعني وتتشكل الإحالة دائرة معنوية (تَ / أنت) ترجع إلى الإمام الباقر عليه السلام ظاهراً ولكن يرجع بجميع الشعوب حقّاً.

ويقول عليه السلام مستفيداً من ضمير (كاف) البارز:

"يا بني إذا أنعم الله عليك بنعمة فقل: الحمد لله، وإذا حزنك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا أبطأ عنك رزق فقل: أستغفر الله".

كما نرى أنَّ الامام الباقر عليه السلام أتي بضمير (كاف) ثلاث مرّات وهو يرجع ب (البني) ولكن مخاطبه الحقيقي هو الناس جميعاً ويريد من الناس أنّ يتوكلوا على الله فقط فهو حسبه لهذا استفاد من ضمير المتصل (كاف) لكي ترشده عندما أنعم الله سبحانه عليك فعليك بالشكر والحمد وإذا أصاب بك حزناً و همّاً الجأ بالله القادر وعندما صار سبيل الوصول إلى الغاية بطيئاً فقم بالاستغفار.

فقال عليه السلام يوصي جابر واستخدم ضمائر (تَ) مع توظيف هذه الكلمة في دائرة الإحالة التي تصبح عنصر إتساقياً في خطب الإمام الباقر عليه السلام:

"أوصيك بخمس:إن ظلمتَ فلا تظلم وإن خانوكَ فلا تخن وإن كذبتَ فلا تغضب وإن مدحتَ فلا تفرح وإن ذممتَ فلا تجزع".(٢٤)

ومن ذلك نجد إنّ الإمام عليه السلام مازال متمسكاً بحقّ النصح والإرشاد وما تتطلبه مستلزمات الإمامة الربانيّة، ليتم الحجة على الناس أجمعين.إنَّ الامام عليه السلام وظّف هذه الضمير (تَ) مع أفعال تدلّ على (الظلم/ الخيانة/ الكذب/ المدح / الذمّ) كأنّه يريد أن تحذر المخاطب من التقابل في أعمالكم اليومية.

أو في خطبة أخرى يشير إلى الحثّ على الأعمال الحسنة ومن هذا المنطلق استخدم ضمير متّصل (ه) في بعض الأسماء (لسانه/ عمله/ نيّته/ رزقه/ برّه/ أهله/ عمره) وهذا الضمير يدلّ على جميع الإنسان بقوله:

"مَن صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن بره في أهله زيد في عمره"(٢٥).

قول الامام عليه السلام واستخدم فيه من أنواع الضمائر المتصلة (كم/ تم) أو المنفصلة (أنتم) اللتان تتشكلان بنية الإحالية أهله:

"ما لي أرى أجسامكم عامرة، وقلوبكم دامرة، أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه، وما انتم اليه صائرون لقلتم: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"(٢٦).

يخاطب الإمام الباقر عليه السلام قومه وشعبه وقد وظّف ضمير متصل (كم) مع كلمات (أجسام/ قلوب) وهما يرتبطان بجسم الإنسان و لهذا يستعمل هذا الضمير ثمّ يوظّف

بالضمير المنفصل (أنتم) الذي يلائم مع مفهوم (ما ملاقوه/ ما صائرون).

وقوله عليه السلام استخدم فيه من إحالة الضمير فالضمائر مظهراً من مظاهر الإيجاز:

"إنّ كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميّتاً، ألاَ يا أشباحاً بلا أرواح، وذباباً بلا مصباح، كأنّكم خشب مسندة، وأصنام مريدة"(٢٧).

قوله عليه السلام في خطبته الأولى مخاطبا أعداءه:

"واراكم قد أجمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم"(٢٨).

إنَّ الإمام الباقر عليه السلام وظّف ضمير (كم / تم) وكلاهما يرجعان إلى مدلول واحد حيث يلتصق ضمير متصل (كم) بكلمتين (أري/ على) و ضمير (تم) على فعلي (أجمعتم/ أسخطتم) ويقول بأنّكم يريدون فعل شيء ولكن الله لم يرد ذلك العمل فإن شاء الله فهو محتوم والامام عندما يستفيد من هذه الإحالات في الضمير لكي يعبّر عن تفرّقهم يريدون أن يجمعوا في أمرِ ولكن لم يكن قادرين تجاه إرادة الله قدير.

وقوله ايضاً:

"يا أشباحاً بلا أرواح، وذباباً بلا مصباح، كأنّكم خشب مسندة، وأصنام مريدة، ألاَ تأخذون الذهب من الحجر، ألاَ تقتبسون الضياء من النور الأزهر، ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر؟"(٢٩).

قوله:

"الذنوب كلها شديدة و أشدها ما نبت عليه اللحم والدم، لأنه إما مرحوم وإما معذب والجنة لا يدخلها إلا طيب"(٣٠).

كما نلاحظ في الخطبة المذكورة يقصد الامام الباقر عليه السلام بذكر الضمائر وإحالاتها ليقوم القارئ بالإنتزاع الذهني حتى يجد إحالة ضمير (ها / ه) وهذا الإحالة تساعد على إيجاد موسيقي جميلة للنص الخطابي.

٢-٣. أسماء الإشارة

وهي من وسائل الإحالة التي تحقق الاتساق، ويمكن تصنيفها إلى الظرفية (هنا، هناك

وحيادية: (هذا)، وانتقائية) هذه، هاتان، هذان هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك، ذلك، تلك)، والقرب: (هذا، هذه).وتقوم بالربط القبلي والبعدي مثل الضمائر وهو نفس الدور الذي تلعبه أسماء الإشارة، و تمتاز هذه الأدوات بإمكانية الإحالة على جملة كاملة أو فقرة كاملة كما هو موضح في المثال الآني) ذهبنا إلى دار الأوبرا، وكان خروجنا هذا الأول منذ شهر) تلاحظ بأن اسم الإشارة (هذا) قد أحال على جملة كاملة سابقة في النص هي (ذهبنا إلى دار الأوبرا مما حقق ترابط أجزاء النصّ (الاتساق)[٣١]. كما يستخدم الامام الباقر عليه السلام اسماء الإشارة في خطبة "في جمع أهل الغفلة" كثيراً ونشير إلى اسم الإشارة (هذه) بين خطبته:

"انظروا إلى هذه القبور، سطوراً بأفناء الدور، تدانوا في خططهم، وقربوا في فرارهم، وبُعدوا في لقائهم، عمّروا فخرّبوا، وأنسوا فأوحشوا، وسكنوا فأزعجوا، وقنطوا فرحلوا، فمن سمع بدانٍ بعيد، وشاحط قريب، وعامر مخرّب، وآنس موحش، وساكن مزعج، وقاطن مرحل غير أهل القبور"[٣٢].

إنّ الإمام الباقر عليه السلام وظّف اسم الإشارة (هذه) في أوّل الخطبة حتى ينذر أهل الأرض بأنّ القبور هناك بين أيديكم وهذه الإحالة تأتي لإنذار وتنبّه المخاطب إذن تغيّروا سلوك و أعمالكم.

٣-٣. أدوات المقارنة:

لاتختلف في عملها عن سائر أدوات الإحالة (الضمائر، أسماء الإشارة) في اتّساق النص، وهي تتم باستعمال عناصر عامة مثل التطابق والتشابه والاختلاف أو عناصر خاصة مثل الكمية والكيفية[٣٣]. فخاصية الإحالة التي تملكها هذه الأدوات تربط أجزاء النص وتغني عن تكرار المفردات أو الجمل داخل النص إذا ما علمنا أن مستعملي اللغة يميلون غالبا للإيجاز والابتعاد عن التكرار.[٣٤] بمعنى أن للإحالة دور فعال في عدم تكرار المفردات في النصّ، فالتكرار يفقد جمالية النص مما يخل بانسجامه و اتساقه. قلّما نرى هذا النوع من الإحالة في خطب الإمام الباقر عليه السلام التي تقارن فيه الضمائر و إسم الإشارة في مثل:

"إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وإيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت"[٣٥].

إنَّ الامام الباقر عليه السلام يأتي بإسم الإشارة (ذلك) وضمير البارز (هو) وهذا الضمير (هو) يأتي منفصلاً لكي يلائم مع مفهوم (قائم) الذي يكون خبراً له بهذه الإحالة يريد الإمام عليه السلام تناسب بين البناء والمعني. وكذلك استفاد من اسم الإشارة (ذلك) وهذا الإسم يشير إلى (النار) وتوظيف الإسم الإشارة للبعيد يلائم مع ابتعاد عن النار.

٣-٤. الأسماء الموصولة

الاسم الموصول من الأدوات التي تساهم في التماسك النصي وانسجامه، وذلك بالربط بين ما تقدم ذكره والعلم، به وما يراد من المتكلم أن يعلم به، وكان لعبد القاهر الجرجاني رأي في ذلك فهو يرى بأن الاسم الموصول فيه ضرب من التعريف تارة وتارة ضربا من الإحالة بالضمير. وبهذا يمكن أن تعتبر الأسماء الموصولة من عناصر الإحالة المتمثلة في: (الذين، الذي، من، ما، التي، اللتان...).[٣٦] هذا النوع من الإحالة قلّما نراه في خطب الإمام الباقر عليه السلام و نشير إلى نماذج من حضور هذه الإحالة بين سطور الخطب:

"يا ابن الأيام الثلاثة: يومك الذي ولدت فيه، ويومك الذي تنزل فيه قبرك، ويومك الذي تخرج فيه إلى ربّك، فيا له من يوم عظيم".[٣٧]

إنَّ الإمام عليه السلام يتحدّث عن أيام الإنسان الذي تعيش في حياته الدنيوي والأخروي: (يوم الولادة + يوم الموت+ يوم اللقاء) و كان اسم الموصول (الذي) رابطاً لوصل (يوم + المفهوم المنشود) وهذا الدور يرجع مفهوم إلى الأيام.

نتائج البحث:

بما أنَّ الخطب لدي الامام الباقر عليه السلام فيها الأداة للإحالة النصية منها الموصولات وأسماء الإشارة والضمائر وبما أنّ استيعاب كلّ من هذه الأدوات تساعد على فهم أكثر عمقاً لكلامه الشريف ولذلك دراسة الإحالات النصية في خطبهما الشريفة أمر لايستهان به.

- إنّ الضمائر والموصولات وأسماء الإشارة لها دور رئيس في الإحالات النصية في خطب الإمام الباقر عليه السلام.
- كان استخدام الضمائر وأسماء الإشارة اكثر شيوعاً مما بقي من الإحالات النصية في الخطب لدي الإمام الهمام.

- كان من أهمّ أداة الاتساق النصي الداخلة في نوع الإحالة لدي خطبه ما يدل على الزمان (الآن وغدا)، و منها للمكان (هنا وهناك)، ومنها للبعد (ذلك وتلك)، ومنها للقرب (هذه، هذا) فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي ومن ثمة تسهم في اتّساق النص.
- انَّ الإمام الباقر عليه السلام ومن خلال سنوات امامته كانت خطبة -عليه السلام- أكثر عددا من خطب أقرانه والذي كانت هذه إمامته الشريفة تسعة عشرة سنة.

هوامش البحث

(١) - لسان العرب، ابن منظور، عبد الله علي الكبير وآخرون دار المعارف مصر ٩، ص: ١٠٥٥

(٢) - ينظر، تاج العروس محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، المطبعة الخبرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ/ مادة (حول).

(٣) -القاموس المحيط الفيروز آبادي مجد الدين، مطبعة مصطفى البابي الحلي، مصر، ط١، ١٩٥٢، ص ٩٨٩

(٤) - عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠١، ص ١١٦

(٥) - المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية، ط١، ١٩٨٧: ص ١٩

(6) - Robert de Beaugrande

(٧) - دي بوجراند، روبرت، النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسان، بيروت، عالم للكتب، ط١، ١٤١٨هـ، ص ٣٢٠

(٨) - أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة : طب ١ ٢٠٠٤، ص: ١١٦

(٩) - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي. ط ١، ١٩٩١ ص: ١٧.

(١٠) - الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٣، ص: ١٨.

(١١) - خطابي، محمّد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٧

(١٢) - أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١٥٨_١٥٨

(١٣) - البطاشي خليل بن ياسر الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص١٦٥.

(١٤) - أحمد عفيفي، المرجع نفسه، ص ١٥٣.
(١٥) - سليمان بوراس، مذكرة ماجيستار القرائن العلائقية و أثرها في الاتساق، ص٢٨.
(١٦) - الرحمن: الآية ٤٣
(١٧) - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٨.
(١٨) - نفس المصدر
(١٩) - البطاشي، خليل بن ياسر، الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص ١٦٧
(٢٠) - حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي ج ١
(٢١) - حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام / الشيخ باقر شريف القرشي ج ١
(٢٢) - الخلفاء الإثنا عشر / الشيخ جعفر الباقري
(٢٣) - تحف العقول: ١٨٠
(٢٤) - تحف العقول عن ال الرسول، ابو محمد بن شعبة الحراني، منشورات الفجر، ط ١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤ م
(٢٥) - تحف العقول: ٨٣
(٢٦) - تحف العقول: ١٨٥
(٢٧) - تحف العقول: ١٨٦
(٢٨) - تحف العقول: ١٨٨
(٢٩) - تحف العقول: ١٨٩
(٣٠) - تحف العقول: ١٨٥
(٣١) - نفس المصدر: ص ١٧٤
(٣٢) - حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام / الشيخ باقر شريف القرشي ج ١
(٣٣) - خطابي، محمد، لسانيات مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٩
(٣٤) - هاليداي و رقية حسن، الاتساق في اللغة الإنجليزية، ص ٥٤
(٣٥) - تحف العقول: ١٨٧
(٣٦) - خليل إبراهيم، في اللسانيات و نحو النصّ، ص ٢٣١؛ يزيد فايزة و سعيدي نصيرة، دور الإحالة في تماسك النص القرآني سورة الحديد أنموذجاً، الجزائر، جامعة أكلي محند اولحاج البويزة، ٢٠١٣، ص١٧.
(٣٧) - حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي ج١.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١. لسان العرب، ابن منظور، عبد الله على الكبير وآخرون دار المعارف مصر.

٢. تاج العروس محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ/ مادة (حول).

٣. القاموس المحيط الفيروز آبادي مجد الدين، مطبعة مصطفى البابي الحلي، مصر، ط١، ١٩٥٢.

٤. عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠١.

٥. المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ١٩٨٧.

٦. دي بوجراند، روبرت، النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسان، بيروت، عالم للكتب، ط١، ١٤١٨هـ.

٧. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة: طب ١ ٢٠٠٤

٨. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي. ط ١، ١٩٩١.

٩. الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٣.

١٠. البطاشي خليل بن ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الناشر: دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.

١١. بوراس، سليمان، القرائن العلائقية و أثرها في الاتساق سورة الأنعام، رسالة الماجستير، الجزائر، ٢٠٠٩م.

١٢. القرشي الشيخ باقر شريف حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، ج١، الناشر: دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع؛ الطبعة: الاولى ١٩٩٣

١٣. الباقري، الشيخ جعفر، الخلفاء الإثنا عشر، قم، مركز الأبحاث العقائدية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٤. الحراني، ابو محمد بن شعبة، تحف العقول عن ال الرسول، منشورات الفجر، ط ١، ٢٠١٤.

١٥. هاليداي و رقية حسن، الاتساق في اللغة الإنجليزية، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو – كلية الآداب واللغات – مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، ٢٠١١.

١٦. خليل إبراهيم، في اللسانيات و نحو النصّ؛ دار المسيرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

١٧. يزيد فايزة و سعيدي نصيرة، دور الإحالة في تماسك النص القرآني سورة الحديد أنموذجاً، الجزائر، جامعة أكلي محند اولحاج البويزة، ٢٠١٣.